التوابيت ...

مسرحية من فصل واحد

بقلم : نديم خشفة

«.. الى الذين دفنوا انفسهم في توابيت الاحلام ، واصم آذانهم صخب الافكار ، واستعبدهم التأمل حتى صرفهم عن العمل .. الى العبيد الداجنين ، ذوي النبرات المهذبة ، والعقول الراجحة . » ...

★ الاشخاص

هارون
عـزرا
شمعون
صموئيل
الفتى ـ ميلاده ١٩٤٨
فافله عبيد .. بدوي .. وآخرون
راشد
سليمان
مسعد
يعقوب

المنظـر

(هيكل سيارة قديمة ، انفرس في الارض ونبتت من حوله الاعشاب . نوافذه مغطاة بالقنب . وقـد اجريت عليه بعض التعديلات بحيث يكون مسكنا .

من بعيد : تلال رملية واشجار الصبير الشوكي .. عن يسار المسرح اطار باب وهمي ..) ..

هارون ـ هذه بلطة .. انظر الى حدها .. جارح . وهي ثقيلة وواثقة من نفسها . حسنا .. وهذه كرة الاسفنج ، تبدو امامها خائفة ترتعش . ولكن هل تستطيع ان تقسم كرة الاسفنج بضربة بلطة ؟

الفتى ـ استطيع.. ان البلطة حادة والكرة ليست اكثر من كرة.. (يحمل البلطة) .

هارون ـ حسنا .. حاول وسوف نرى ان الكرة تنط حول ذقنك وربما اصابت انفك ..

الفتى ـ سوف ترى انها لن تحتمل سوى ضربة واحدة .. هوب. (يخطئها ويصيب صحن حساء .. استهزاء) .

هارون ـ أرأيت يا بني ؟ المرونة والتواضع .. هذا ما نحن عليه معشر اليهود .. نعرف اين نضع انفسنا . لان من جلس في الصدر يزحزح عنه حتى يجد نفسه في العتبة ، لذلك نجلس في العتبة فلا ينافسنا عليها احد . وماذا تفعل الكبرياء ؟ اذا رفعت انفك وابرزت صدرك طمع بك النشالون ورجال الكنيسة ، وربما خطفك نخاس فخصاك وجعلك حارسا في حاشية امير .

الفتى ـ اذا اعتاد ظهري على الانحناء فلن يستقيم بعد ذلك ..

هارون ـ تماما .. هذا ما اريده لك .. ان ينحني ظهرك حتى يصبح الانحناء طبيعة فيه . يجب ان تشعر بأنك من الطبقة الاولى .

الفتى ـ وهل الطبقة الاولى ملتصقة بالارض هذا الالتصاق !!

هارون ـ اريدك ان تصبح من خميرة الارض . نحن نحمل الطبقات الاخرى فوقنا .. انها تمرح هازئة بنا ولكنها تزول في عنوان غرورها . ان الذي يشهد تعاقب العروش هو المالك الحقيقي لها ، اما الاخرون فمسوخ يهرجون امامه ساعة ثم يخلون الساحة لمسوخ اخرين .

الفتى ـ اراهم احتلوا الساحة وحرمونا حتى من متعة الفرجة عليهـم .

هارون ـ ذلك لانا اردنا ان نهرج مثلهم ..

الفتى ـ هل خلقنا لنكون من الطبقة الاولى كما تدعوها .. الطبقة التي لبدتها الاقدام !! ..

عزرا ـ لا ترفع صوتك في وجه هارون يا بنـي واستمع الى نصائحه .. انه يعطيك خلاصة خصائص عرقنا .. لقد رفعنا رأسنا اكثر مما ينبغي ، فانظر ماذا حل بنا ...

الفتى ـ ... افاقون ، ليس لديهم قوت يوم ، نصبوا خيامهم على الطريق ..

هارون ـ السباع تحمل طعامها حيث تسير ..

عزرا ـ هذا رجل قادم دعونا نرى ما يحمل لنا ...

الفتى ـ ان ما يحمله له ولكنه يتصدق علينا .

عزرا ـ يا بني .. المال مال يهوه ، والطعام طعام يهوه ، وانما الناس وسطاء بعضهم لبعض ..

(بدوي يحمل متاعه على كتفه ويتوكأ على عصا)

هارون ـ افتح عينيك جيدا وارقب ما يفعله عزرا فانه تلميذي وتربية يدي ..

عزرا ـ سلمت ايها العربي وغنمت ..

العربي ـ سلمت ودمت .. ما تريد ؟

عزرا ـ قد تعلم رفة حالنا ، ونحن جيرانكم ، والجار بعض العيال اذا لم تكفه لحق بك عار سؤاله .

العربي ـ اسمع انت هناك .. ان للطير وكنات ، وللوحوش كهوف وللحشرات جحور ، وانتم نصبتم بيوتكم على الطريق واعترضتم باكفكم الممتدة كل عابر .

عزرا ـ قد كان لنا وكر ولكن طردنا منه . جاءنا الغزو كالسيل فاحتملنا ورمى بنا الى حافة الطريق .

العربي ـ فهلا صبرت له او مت ـ ويحك ـ في عبابه ؟!

عزرا ـ يا اخانا ... ما كل الناس معجب بالموت .. وانتوامثالك بديل لنا من البيت والثروة .

العربي ـ ولكن الطريق الى مكة طويلة ، وزادي قليل ..

عزرا ـ لا اطلب منك شيئا اكله ، ان لدينا زادا يكفي ، ولكن رأيت عليك سيما الحجاج فقلت آخذ منك شيئا انبرك به .

العربي ـ (يرمي اليه بالصرة) خذها بارك الله لك فيها ..

عزرا ـ لا اريد منها الا ما لا يفسد على الزمن .

العربي ـ فيها ثوبان وشيء من التمر .

عزرا ـ اما الثوبان فاقبلهما والتمر آكله فقد قيل : ان تمر الحاج شفاء للداء .

العربي ـ نطقت بالصدق .. هيا ... (يبتعد) .

عزرا ـ حين ترجع فاجعل طريقك من هنا .. (يضحكون) ولا تنس ان تتحفنا ببركاتك .

هارون ـ هكذا ... سلبه متاعه وهو راض . أرأيت ما تفعل الكبرياء ؟ بضع كلمات تنفخ بها راسه كالزق فيتخلى لك عما تحب .

(موسيقى عسكرية . الفتى يغيب لحظة ثم يعود)

الفتى ـ جاء الرجل العجوز يسأل عنك مرة ثانية ..

هارون ـ (منزعجا) ماذا يريد ؟ الم تقل له اني لست هنا ؟

الفتى ـ قلت له ولكنه اصر ان يراك ..

هارون ـ عجيب وحق يهوه . حين اخرج اليه اكلمه فلا ينطـق بشيء . ينظر الي صامتا . لا ادري ما يريد مني !!

الفتى ـ لكنه يبدو شديد الكبرياء . لقد ابى ان يشرب حليبا

قدمته له . وابى ان يجلس او يترجل .

عزرا – عجيب وحق يهوه ، امر هذا الفارس ، انه مزعج .. الا تراه مزعجا يا هارون ؟

هارون – والذي يشق انه يجد نفسه فتيا مع انه جاوز الاربعة الالاف سنة ، عجوز في مثل سنه ؟! .. كان يجب ان يخجل من نفسه ويدع الاعيب الصبية .

الفتى – ان له حصانا رائعا .. لو رأيت غرته . وعليه دروع تلمع في الشمس .

عزرا – مهرج في ثياب برافة . كان يجب ان يموت من زمان بعيد .

هارون – لن يكف عن لعبه حتى يموت في تلك الدروع السخيفة .

عزرا – اخرج اليه وافنعه بأن يحل عنا ..

هارون – (خائفا) ولكن .. ماذا .. يريد مني ؟

عزرا – لا ادري .. اخرج اليه ..

هارون – اذهب انت عني ..

عزرا – لا احب ان اراه .. ثم انه لم يسأل عني .. لقد طلبك انت .

هارون – هذا العجوز المزعج !!

الفتى – ولكني اراه شيخا طيبا .. انه شيخ ويرتدي ثياب الفرسان ..

هارون – انا اكره الفرسان ، وخاصة اذا كانوا شيوخا ..

(يصرخان)

عزرا – اذهب عنا .. حل عنا ..

هارون – اوف .. ارحل من هنا .. لا نريدك .

الفتى – (ينظر من الباب ويعود) لقد ذهب ولكنه ترك بطاقته .. عليها عنوانه .. (يقدم له البطاقة) .

هارون – ابعدها عن وجهي .. لا اريد ان اعرف اسمه ولا عنوانه ..

عزرا – شيء مزعج وحق يهوه .. دفناه بايدينا واهلنا فوق وجهه التراب ، وقلنا : خلصنا منه . فلا يذوق ويموت بسلام ، ولكن يأتينا فوق حصان وعليه دروع لامعة ايضا .

هارون – بعض الناس لا يعرفون كيف يحيون ، وبعضهم لا يعرفون كيف يموتون .

الفتى – ولكنه شيخ نبيل رغم كل شيء ..

عزرا – دعنا من العجوز .. انظروا هذه قافلة تحمل عبيدا .

هارون – لا بد انها آتية من افريقيا محملة بالعاج ..

عزرا – والطيب .. والحرير ..

هارون – هيا يا بني ارنا كيف تشحذ العاج ..

عزرا – لقد حملوه الاف الاميال ، وحرسوه من قطاع الطرق والشرطة وجاؤوا به الينا ..

هارون – اتخذ للامر عدته .. احن ظهرك ، واقلب وجهك حتى يكون مثل الكمبيالة المستحقة . ولا تظهر لهم طمعك فيما يحملون ..

عزرا – وسوف اعينك عليهم فلا تتردد .

الفتى – لن اشحذ شيئا ..

هارون – اوف .. دع عنك هذه الكبرياء .. انه عاج افريقيا ونحن اولى الناس به .

عزرا – والطيب .. لقد آن لك ان تغير رائحة السمك التي تنبعث من ثيابك .

هارون – لقد اقتربوا فأرني ما تصنع .

(يدخل التاجر واتباعه يقودون العبيد بالسلاسل)

عزرا – اهلا بشيخ التجار ، وسيد افريقيا ، ومن دانت له ملوك الزنج بالطاعة ..

التاجر – ما تريد ؟ ليس عندي لك هذه المرة شيء .

عزرا – ومن قال اني اريد منك شيئا ؟ ولكن لدي غلام اريد ان ينشأ على طاعتك وتعلمه الصناعة .

التاجر – واين هو ؟

(يدفع الفتى بين يديه)

عزرا – اني اهبه لك . اقرنه بالسلاسل اذا شئت ولكن اريده ان يتعلم مهنة يعيش بها .

التاجر – يبدو انك عجزت عن طعامه فاردت ان اعلفه لك ؟!

الفتى – لدينا ما يكفي من الطعام ولا حاجة لي بطعامك ولا صناعتك .

عزرا – ارأيت وقاحته يا سيدي ؟ ..

التاجر – وقح والله .. سوف العب السوط بين كتفيه حتى تصبح نفسه كالتراب .

عزرا – سلمت يداك . هذا ما اريده . ولكن لماذا تتعب نفسك في ضربه ؟ وكل به احد اتباعك يجلده كل يوم مئة سوط .

هارون – وخير من هذا .. اقرنه بسلسلة مع احد عبيدك فينشأ معه ويتعلم طباعه .

التاجر – هذا والله الرأي .. يا « عنبس » ! اقرن هذا الفتى بأطوع عبيدنا ..

(يصفد الفتى بسلسلة مع احد العبيد وهو يمانع)

هارون – ولا تعفه من الخدمة يا سيد التجار ، حمله صندوقا يكسر ظهره ، وضع حول رقبته نابي فيل يلويانها الى الارض .

التاجر – يا « عنبس » ! ضع على كاهله صندوق حرير ، وحمله نابي فيل ..

عزرا – (يحمل جرة ويعطيها للفتى) وامسك ويلك ، جرة الطيب حتى تعرف كيف تكون الطاعة .

التاجر – يا « عنبس » ! ضع على كاهله صندوق حرير ، وحمله

عزرا – ما اكثر ما لديك من العبيد !!

التاجر – ولكنهم كسالى ، يميلون الى الغناء .. جئت بهم اعلمهم شيئا نافعا .

هارون – سلمت يداك . فعلت ما يجب ان يفعل من زمن بعيد . لا اتصورهم الا جالسين في الاكواخ بين نسائهم يدفون الطبول ويضحكون ، والقرود تساقط عليهم جوز الهند .. بينما العالم المتمدن يبني الحضارة .

عزرا – لم يخطىء الفراعنة حين اجبروهم على بناء الاهرام .

التاجر – وهل اخطأت بابل حين اجبرتكم على بناء عجائبها ؟!

هارون – لا . وحق يهوه .. بنيناها متطوعين . ولا انكر اننا وجدنا بعض الصعوبة ، لان اجسامنا تعودت الراحة .. لذلك اعطيتك هذا الفتى لينشأ على الجد والطاعة .

التاجر – حسنا فعلت .

هارون – ولكني خجل منك ..

التاجر – خجل ؟ لماذا ؟

هارون – شغلناك بامر ولدنا .. وانت رجل تجالس الملوك فاخشى الا تفرغ لتأديبه .

عزرا – دعه عندنا نؤدبه ..

هارون – ولكن اخاف ان يرق قلبنا عليه .. وكل به هذا العبد يضربه ، ما رأيك ؟

التاجر – حسنا .. يا « عنبس » ! افصل هذا العبد عن القافلة .

(عزرا وهارون يدفعان الفتى والعبد بما يحملان الى الداخل)

عزرا ، هارون – سلمت يا مولاي .. سلمت .

(تخرج القافلة)

عزرا – (يفك الفتى ويقود العبد بسلاسله) أرأيت ما شحذنا هذه المرة ؟ عبد مطيع ، وحمل من العاج والطيب والحرير ..

هارون – هل اجدى عليك تكبرك شيئا ؟ ولكنك ولد بليد ..

عزرا – لا بأس يا هارون .. انها صناعة ورثناها منذ اجيال ولا تنتظر ان يتقنها في ساعة واحدة .

الفتى – حين يعود شمعون وصموئيل من الصين فسوف انضم اليهما .

هارون – بل تعلم الزراعة .. خير لك ان تتعلم اخلاق الفلاحين فهي شبيهة بك .

الفتى ـ ليكن .. انه عمل .
هارون ـ وهذا الذي نحن فيه ؟ اليس عملا ..
الفتى ـ عمل ؟ هل سنطيع ان ترفع قامتك بعد كل هذا الانحناء؟
هارون ـ قلت لك ان قامتي ملكي ولا يهمك كيف تكون ..
الفتى ـ حسنا .. سأبقى هنا حتى يعود شمعون وصموئيل .. كان يجب أن انضم اليهما منذ البداية ..
عزرا ـ حين يأتي شمعون فسوف اكلمه .. لقد افسد علينا ابناءنا بسلوكه الاحمق ..
هارون ـ الصيد ؟! الا تحتفر نفسك وانت تجري وراء قطعة لحم لا تزن اوقية ؟! .. تركض طول النهار وعيناك معلقتان في السماء ..
الفتى ـ اليوم يعود شمعون ..
هارون ـ لن يعود شمعون الينا الا وعيناه في أم رأسه ..
عزرا ـ اسمع اصواتا ..
الفتى ـ اظنهما عادا ..
هارون ـ سوف ارى شمعون وصموئيل واعرف ما يريدان بتصرفهما الفاضح هذا ..
عزرا ـ انهم كثيرون .. اوه ، انظر اليهم .. عشرة الاف .. عشرون الفا .. مليون .. مليون ونصف ...
(تدخل جماعة من اربعة اشخاص . يرتدون بذلات سوداء . ويحملون حقائب سفر غريبة الشكل كأنها التوابيت ..) ..
راشد ـ اه .. وصلنا .
سليمان ـ اوه .. هذه الحقائب ثقيلة .
يعقوب ـ اظن ان احد اضلاعي قد انكسر ..
مسعد ـ اننا لم نبتعد كثيرا .. دعونا نذهب حتى نضمن السلامة.
سليمان ـ لن اتحرك خطوة واحدة ..
راشد ـ لا بأس .. لن يكلفوا انفسهم عناء الركض وراءنا.. كانوا يريدون الارض وقد اخذوها ، فلا حاجة لهم بنا ..
(يصفون الحقائب على يمين المسرح .. والجماعة الاولى في اقصى اليسار)
سليمان ـ (يتمدد فوق حقيبته) .. اخطأت حين حملت هذه الحقيبة الكبيرة .. كان عندي واحدة اصغر ..
يعقوب ـ (يتمدد ايضا) .. والالعن ان كلها اشياء ضرورية .. لا نعرف ما نترك وما نأخذ ..
مسعد ـ (يلمح الجماعة الاولى) .. اوه . وهل انتم هربتم ايضا؟
هارون ـ نحن دائما نهرب ..
مسعد ـ طردوكم من دياركم ايضا .. السفاحون !!
هارون ـ اخليتم الساحة لغيركم اذن ..
مسعد ـ طردونا منها .. كانوا ضيوفنا ، فما زلنا نكرمهم حتى جلسوا في الصدر وتركوا لنا العتبة ..
(هارون يضحك)
مسعد ـ هل تسخر منا ؟!
هارون ـ لا ولكن تذكرت قصة قديمة .. حسنا . استأجر غريب حمارا من مكاري ، فلما مشى به قليلا قال الغريب : والله حمارك سريع. فشكره المكاري . وبعد مسافة اخرى قال الغريب : والله حمارنا سريع. فامسك المكاري لجام الحمار وقال : انزل عنه قبل ان تقول : ان حماري سريع .
مسعد ـ تماما .. لم نمسك اللجام في الوقت المناسب .
عزرا ـ لا بأس .. اقنعوا بالعتبة .
مسعد ـ اليوم طردونا من العتبة .. قالوا ان نعالهم كثيرة وهم محتاجون اليها .. وانتم ماذا تفعلون هنا ؟
عزرا ـ نعيش في عتبة العالم .. لا نطمع في الصدر ولا ينافسنا احد على العتبة .
مسعد ـ انتم سعداء .
هارون ـ هل تحسد ؟
مسعد ـ لا ، ابدا .. لكن اقول انكم سعداء .. فقط .
يعقوب ـ لا نثرثر كثيرا .. نريد ان ننام .
مسعد ـ اسمع .. هذا الرجل يبدو انه طيب ..
يعقوب ـ نحن هنا لاننا رأينا كثيرا من الناس الطيبين .
مسعد ـ كيف تعيشون ؟
هارون ـ نجلس على الطريق ونمد يدنا ... ونعيش .
سليمان ـ هل تعني : اذا جلسنا هكذا ومددنا يدنا فانا نعيش ؟
هارون ـ هكذا عشنا جميعا ..
سليمان ـ ولا تلاقون المتاعب ؟
عزرا ـ لا ننافس احدا فلا نلقى المتاعب.. اخلينا الساحة للمهرجين يتعاقبون عليها .
سليمان ـ شيء لذيذ ..
يعقوب ـ ومريح ايضا ..
عزرا ـ لا تظن الامر بهذه السهولة .. ان احناء الظهر اربعة الاف سنة ليس شيئا سهلا .
راشد ـ انتم سعداء اذن ..
هارون ـ نعم .. لولا ان رجلا هرما يتردد علينا ويزعجنا ..
راشد ـ ماذا يريد منكم .. فلتم انكم في العتبة فهل ينافسكم عليها ؟!
هارون ـ لا .. على العكس يريدنا ان نترك العتبة وننافس الناس على الساحة .
سليمان ـ رجل مجنون والله .
عزرا ـ والالعن انه يرتدي دروعا ويركب حصانا وهو عجوز عمره اربعة الاف سنة .
سليمان كان يجب ان يموت من زمان طويل ..
هارون ـ دفناه بايدينا ولكنه يعود .
سليمان ـ ادفنوه مرة ثانية ...
هارون ـ لا جدوى .. دائما يعود .
سليمان ـ لا بد ان فيكم متآمرين .
عزرا ـ اه ، وحق يهوه ... هذا ما اقوله .
الفتى ـ هل تقصد بهذا احدا ؟
عزرا ـ وانت ، هل حكتك الشوكة التي في جنبك ؟
الفتى ـ حين يعود شمعون نرى ما يكون ..
مسعد ـ ارى ان الحياة ستطيب لنا هنا
هارون ـ ربما .. ولكن احذروا الفارس العجوز .
مسعد ـ نحن لا نعرفه . ولا اظنه يهتم بامر الغرباء .
هارون ـ ان لكل قوم فارسا عجوزا يزعجهم ..
مسعد ـ لا اظن ذلك .. فنحن كان لدينا فرسان شباب ، ولكنهم ماتوا في الساحة .. واستطعنا ـ لحسن الحظ ، ان ننزع ثيابنا من اصابعهم المتشنجة .. وهربنا .
عزرا ـ والفارس العجوز ، هل مات في الحرب ؟
مسعد ـ لا ندري .. كان لدينا عجوز ولكنه لم يكن فارسا ..
هارون ـ هذا ما اقوله لكم .. احذروا ان يحصل على حصان ودروع ثم يعود اليكم .
مسعد ـ شكرا .. سنذكر نصيحتك (للاخرين) انهضوا نبتعد فقد استرحنا قليلا .
راشد ـ دعنا نفكر في امرنا ..
سليمان ـ لن امشي خطوة واحدة ..
يعقوب ـ حقيبتي ثقيلة ولا اقدر على حملها .
مسعد ـ وانا ، والله ، تعب ايضا ..
(يتمددون جميعا فوق حقائبهم ويعقدون سواعدهم على صدورهم .. يدخل شمعون وصموئيل في ملابس الصيد) ..
شمعون ـ ماذا ... هل شحذتم كل هذه التوابيت ايضا ؟!
صموئيل ـ (يضحك) توابيت جاهزة بامواتها ..

شمعون ـ ولكنهم يتحركون ..
هارون ـ لا تهتم بهم انهم لا يؤذون ..
صموئيل ـ متى بدأت تهتم بجمع التوابيت ؟
هارون ـ مساكين .. طردوهم حتى من العتبة .
صموئيل ـ اوه .. مساكين حقا .
شمعون ـ وهل يفعلون شيئا اخر غير ان يتمددوا ؟
هارون ـ لا اظن .. انهم يتمددون وكفى .
الفتى ـ لا اظنهم مساكين .. هناك من هو امسكن منهم .
هارون ـ هل تظن ذلك حقا ؟
الفتى ـ بل اراه كما اراكما ...
عزرا ـ تأدب يا غلام ..
الفتى ـ يجب ان ترفع صوتك .. لقد عملت بجد هذا اليوم .
(يأتي بالعبد يجره من سلسلته)
انظرا ماذا شحذ لنفسه .. عبد تـام ، بسلسلته وعبوديته .
شمعون ـ وما تفعل به يا عزرا ؟!
الفتى ـ سيركبه ويشحذ عليه .. يتكاسل أن يقف ويشحذ ..
هارون ـ هل تسكت او ابطش بك ؟
شمعون ـ دعه يا هارون ..
هارون ـ انت جرأته علينا .. خطفت بصره بقبعتك وبندقيةصيدك وكلابك ..
عزرا ـ انت تفسد الجنس كله يا شمعون ..
شمعون ـ وهل بعد ما وصل اليه جنسنا فساد ؟!
هارون ـ هل يؤذيك ان ترانا خير الناس .. نحن خميرة الارض، اننا الطبقة ..

الفتى ـ .. انهم طبقة السماد التي تمصها الارض . الزرع ينمو ويرفع وجهه للشمس والنور ، والسماد يبقى سمادا الى اخر الابد .

هارون ـ اذا كنت تريد ان تلوث يديك بتراب الارض فارحل عنا، ولوث يديك بأي تراب تشاء . نحن هنا نحيى حياة الملوك ، يأتينا الينا طعامنا بلا عناء .. منذ جيل نتيه في الارض ولا نعرف لنا دارا ، حتى اذا استقر بنا المكان ، وعرفنا الناس وعرفناهم جئتم تنادون : الرحيل .. الرحيل .

عزرا ـ وانت يا شمعون .. ما هذا التعلق الصبياني بالصيد ؟ هل يترك عاقل ما يأتيه من طيب الطعام ويلاحق عصفورا بائسا لا يزن درهما ؟!

شمعون ـ يحق لك ان تلوم . لقد ذقت طعام الملوك ولكنه اختلط في معدتك بطعام الصعاليك . لو كنت اعرف اني مقبل على مثل حياتكم لما خرجت من اورشليم . ان الذل واحد في كل مكان ، فخير لي اذن ان احني ظهري فوق ارض اورشليم .

عزرا ـ ولكنا خرجنا على اي حال ، فيجب ان نتلاءم .. لن تكون الحرباء الدنيئة اذكى منا .

شمعون ـ اخشى ان اتلون حتى تختلط علي الامور فلا اميز جسدي بين الزواحف الاخرى .

الفتى ـ دعنا ننادي بالرحيل فان هؤلاء استطابوا حياة الجحيم.

صموئيل ـ لقد نمى الصغار في التيه ، والكبار ترهلت اجسامهم، فآن لنا ان نعود .. ناد الناس يا شمعون .

هارون ـ حين خرجنا ، حملنا التابوت فيه جسد موسى ولم يكن في نيتنا ان نعود ..

عزرا ـ حملنا اغلى ما نملك فلم يبق لنا شيء نعود من اجله .

شمعون ـ جسد موسى ؟ .. حملناه اربعين سنة لندفنه في الارض التي مات فيها ، هل كنا ننتهك حرمة قبره لولا اننا نريد له السلام الابدي .

عزرا ـ انت اردت ان نحمله فحملناه . واليوم تأتي لتقول احملوه مرة ثانية وارجعوا به .

شمعون ـ اردت ان تحملوه ليكون ثقلا على ظهوركم يذكركم بالارض التي طردتم منها . لقد التأمت في هذه الصحراء جروحنا وآن لجسد موسى ان يستريح الى الابد .

هارون ـ ولكني لا اجد احدا يرغب في حمله . انه ثقيل .. ولا ارى فائدة من نقله اصلا !!

عزرا ـ تابوت في مثل حجمه ؟ انه سيعيق حركتنا ويلفت الانظار الينـا .

صموئيل ـ هل تتركونه اذن ؟!

هارون ـ كنت دائما ضد فكرة نقله .. والذي حمل جسد موسى من ارضه يعيده اليها .

شمعون ـ انا اعرف من حمل موسى من اورشليم ، وهو الـذي سيعيده اليها ..

هارون ـ ادعه اذن ، وليحمله عنا .

شمعون ـ (ينادي) يا معشر يهود . يا اهل اورشليم ... (يدخل الناس تباعا صامتين ، يحيطون بالمسرح) اليك هؤلاء .. انهم الخميرة الحقيقية للارض التي تتلوى انت ذليلا عليها . (للشعب) اننا راحلون الى اورشليم ..

هارون ـ ولكنك تفر بالشعب يا شمعون ..

شمعون ـ الشعب يعرف الذين غرروا به .

عزرا ـ اذا سمعت بكم آشور فسوف تنحاز الـى العدو .لـن يرضيها ان نغيروا الخريطة التي رسمتها للعالم .

هارون ـ والخطة .. هل رسمت الخطة ؟ لا ادري كيف تهاجم بلا خطة !!

شمعون ـ لقد بقينا اربعين سنة نرسم الخطط ، فانقنا الرسم والهندسة ونسينا كل شيء عن القتال ..

عزرا ـ انهم متحمسون ولكن لا سلاح لهم .

هارون ـ سوف تكون مجزرة انت سببها يا شمعون .

عزرا ـ ارجع الى العقل . اتئد . لا تتسرع ..

شمعون ـ كنا ننتصر في كل معركة حملنا فيها تابوت موسى ..

هارون ـ ولكن اختلف الزمان ..

عزرا ـ وتغير الناس ..

شمعون ـ الشعب واحد لا يتغير .. انه نفس الشعب الذيحمل على كاهله التابوت صابرا ... احملوا التابوت .

(يهرع اربعة رجال لحمل التابوت وحين يرفعونه ينفتح عقبه وتسقط منه اسلحة ودروع . تستيقظ الجماعة الثانية فوق الحقائب)

هذه بشرى .. الان وجدنا مؤيدا لحماستنا .. احملوا السلاح ، والبسوا الدروع (يتناول البلطة ويكسر بها سلاسل العبد) ولتنطلق معنا ايها الانسان الذي قيدته دناءة التجار ونزوات الملوك .

صموئيل ـ كم اتمنى ان يكون الفارس العجوز معنا الان .

الفتى ـ معي عنوانه ، كنت اعلم دائما انا سنحتاج اليه .

(يخرجون جميعا)

راشد ـ لقد ذهبوا جميعا ..

مسعد ـ وتركوا لنا بيتهم ..

يعقوب ـ لا اظنهم ذهبوا الى الابد .. سيعودون .

سليمان ـ لن يعودوا ، الم تر كيف حملوا السلاح .. مقبلون على مجزرة ولن يرجعوا مها .

راشد ـ هل رأيتم ذلك الرجل الهائل ؟ حمل البلطة واهوى على السلاسل بكل قوته .

مسعد ـ هيا ننظر ما تركوا لنا ..

يعقوب ـ لا تلمس شيئا .. ليس من الامانة ان نلمـس اشياء الاخرين .

مسعد ـ لن يعودوا .. وقد ورثنا اشياء الحمقى وديارهم .

سليمان ـ ولكن لنكن حريصين نحن فلا نتركها لاحد بعدنا ..

(يتجولون في الهيكل .. يدخلون من الباب الى النافذة ويحدثون اصواتا ..) ..

يعقوب – اوه .. انظروا ماذا وجدت .. علبة سردين سليمة انها من النوع الجيد .

مسعد – (يلبس معطفا باليا غريب الشكل) هذا المعطف رائع.. الا تجده رائعا يا يعقوب ؟ يلائمني تماما ..

يعقوب – ولكن ينقصه ازرار ..

مسعد – فصل هكذا بلا ازرار . لا ريب انها الموضة هنا ان تلبس المعطف بلا ازرار ...

سليمان – (يضع على عينه عصابة سوداء) .. الا ابدو لكم قرصانا ؟ وهذه اللحية .. الا ابدو فيها شيخا مهدما .. تناسبني تماما ، ساخدع المارة وابدو لهم شيخا حقيقيا .

مسعد – انها الاعيب هؤلاء الناس ، وخاصة هارون .. كانت في جعبته الاف الحيل .

يعقوب – لقد شحذ عبدا بسلسلته ومتاعه ..

مسعد – يجب ان اشحذ واحدا مثله .. احب ان يكون لي عبد.

راشد – (يحمل سيفا صدئا يمسحه بخرقة) كان مدفونا فيارض الغرفة . صديء ولكنه يصلح للقتال .. ساشحذه فربما احتجنا اليه.

سليمان – ارم هذه الحديدة من يدك .. انها لا تصلح لشيء .

مسعد – اكسره وسوف نستعمله في المطبخ .

يعقوب – لن نستعمله في المطبخ ، لانه لن يكون لدينا مطبخ ، يا عزيزي ..

مسعد – هل تريد ان تاكل في المطاعم ؟

يعقوب – هذا ما اريده تماما .. اولا : ليس لدينا ادوات ، ثانيا: حتى لو كانت لدينا فلن نستعملها .. هؤلاء الناس عاشوا قبلنا اربعين سنة بلا ادوات مطبخ .

مسعد – هذا احسن فانا اجهل الطبخ ، ولا احب غسل الصحون.

راشد – (يضرب بالسيف خشبة) انظروا .. قطعتها بضربة واحدة ، يكون رائعا بعد ان اسنه .

يعقوب – انه يقلد ذلك المهووس الذي قطع سلاسل العبد بضربة واحدة . (يضحكون)

راشد – ولكننا سنحتاج اليه ..

سليمان – اسمعوا .. هذه خطوات قادمة .. (يضع اللحية والعصابة) ساجرب شطارتي مع اول عابر سبيل . لا تقولوا شيئا بل انظروا ما افعل .

مسعد – البس هذا المعطف لتبدو شيئا رثا يثير الشفقة ..

(يدخل عزرا)

عزرا – اوه .. اتقنت الصنعة باسرع مما كنت اتصور ..

سليمان – هل رجعتم ؟

عزرا – لا . لكن جئت اقول لكم الا تغيروا ترتيب البيت فربما رجعنا ..

سليمان – ولكننا افرغنا حقائبنا ، وهيانا انفسنا للاقامة ..

عزرا – انك لا تفهمني .. لم اقل ان عودتنا مؤكدة . ربما دخلنا اورشليم ، وربما اجبرنا على الرجوع .. في هذه الحالة ارى ان تحتفظ لي ولهارون بمكان بينكم .

سليمان – .. ولكن انتما الاثنان ولا اكثر . اه ؟

عزرا – كما تشاء .. لا اكثر من اثنين .

راشد – وجماعتك ، هل تخليت عنها ؟!

عزرا – انهم على ابواب اورشليم .

راشد – هل تحاصرون اورشليم ؟

عزرا – لقد احاطوا بها ، وشمعون يزعم اننا سندخلها .

راشد – ولكن لا بد ان تدخلوها .. مع كل هذا السلاح والحماسة لا بد ان تنتصروا ..

عزرا – المهم أن نستقر في مكان .. قضينا في هذا البيت اربعين سنة وقلنا ان حياتنا قد استقرت فجاء شمعون والحمقى من اتباعه واقتلعوا شروشنا ، ولا ادري ان كنا نستطيع ان نغرسها في مكان اخر بعد الان .. لقد اخطأنا حين اطعنا شمعون ..

مسعد – نعم .. كان يجب الا نرحلوا ..

سليمان – ولكن يا عزيزي .. كيف لا يرحلون وقد دعاهم شمعون الى ارض خير من هذه الارض ؟

يعقوب – تماما .. أن اي مكان احسن من هذا البيت المتهدم.. وانظر ، ان ستائره من القنب ، وارضه رطبة تسبب الروماتيزم .

سليمان – اشكروا الله الذي انقذكم من هذا المكان .. منذ دقيقة قتلت عقربا بهذا الحجم .

عزرا – حين كنا لم تكن هناك عقارب ..

يعقوب – بعد ذهابكم تغير كل شيء ..

سليمان – والبيت رغم ذلك ، ضيق لا يكاد يتسع لحقائبنا ..

عزرا – هل هذه حقائب ؟ كنت اظنها توابيت ..

سليمان – ماذا أوحى لك بهذه الفكرة ؟ صحيح انها كبيرة ولكنها حقائب .

عزرا – ولكن تأكدوا انه ليس بينها تابوت . كل البلاء جاءنا من تابوت واحد .

مسعد – انها حقائب .. هذه حقيبتي .

سليمان – وتلك حقيبة يعقوب ، وهذه حقيبتي ..

عزرا – هل تأكدتم انه ليس فيها شيء مثل جسد موسى مثلا ؟

يعقوب – لا يا سيدي ، ليس عندنا هذا الصنف من البضاعة .

راشد – كم اتمنى لو يكون لنا تابوت مثل تابوتكم .. انظر ماذا حملنا معنا (يفرغ حقيبته) البسة داخلية ، ستائر ، ملاعق ، فرشاة اسنان ، مفصلات ابواب ... لم نجد شيئا مقدسا نحمله . كل هذه الخردة كانت اعز لدينا من جسد اي واحد من اجدادنا .

سليمان – ولكنها اشياء نافعة يا راشد .

مسعد – كلها تلزمنا .. في الغربة يلزمك كل شيء .. انا نفسي حملت قدومنا وكمشة مسامير ، سنحتاجها لتثبيت الستائر .

يعقوب – ومعي هنا مفتاح علب السردين ، وخلاط بيض ، وآلة كاتبة باربع لغات ..

عزرا – باربع لغات دفعة واحدة .. !!

يعقوب – انها جهاز رائع يا عزيزي .. (ينصبها) انظر كيف تكتب .. تك ترك تك ترك .. مثل الساعة . ولها مفتاح للتحكم بالسرعة والمسافات .

عزرا – انتم على صواب .. حملتم اشياء نافعة . اما نحن فقد اخطأنا من البداية .. حملنا جثة في تابوت وانطلقنا كالحمقى .

راشد – ولكن التابوت عاد بكم الى الوطن .. اما نحن فانتوابيتنا المملوءة بقطع التبديل ، والالات الكاتبة ستجعلنا احد رجلين : اما تاجر خردة او عرضحالجي محترف .

عزرا – على اي حال ، نحن اصدقاء .. لا تنسوا ذلك .

يعقوب – سنحفظ لكما مكانين بيننا ، ولكن كيف نعلم انكم دخلتم اورشليم ..

عزرا – اذا دخلناها فلن نرجع اليكم ..

راشد – اسمع .. اذا دخلتم ارضكم فاطلق حمامة بيضاء علامة بيننا .

عزرا – كما تحب ، ساطلق حمامة من نوع الزاجل حين ندخلها.

(يخرج)

يعقوب – امامنا عمل كثير ... ساكتب استدعاء نعرض فيه حالتنا على العالم .. هذه هي الطريقة الوحيدة لاسترداد حقوقنا ..

سليمان – يجب ان نعدد المفقودات اولا ..

مسعد – تماما .. لقد تركت ارضا مساحتها ١٥٠٠ فدان،ومعمل معكرونة .

سليمان – ولكن معمل المعكرونة لم يكن لك ..

مسعد – وهل تعرف انت ما هو لي وما ليس لي ؟ معمل المعكرونة ليس اكثر من معمل للمعكرونة وانا صاحبه ..

سليمان ـ الان تذكرت .. هل كان معملك جانب معمل النسيج الذي نصبته ؟

مسعد ـ لقد كان جانبه معمل نسيج ، ولكن لا اعرف ان كان لك او لغيرك ..

سليمان ـ سجل في القائمة .. ارض مساحتها ١٥٠٠ فدان . معمل معكرونة مستورد من ايطاليا . معمل نسيج فيه ٥٠ نول جكار و ٧٠ طن حرير خام .

يعقوب ـ تذكروا جيدا .. سنطالبهم بكل الممتلكات ولن نسامح احدا ..

مسعد ـ كان لدي اسنان صناعية فيها ٤ اسنان ذهبية ، نسيتها على الحوض في عجلتي ..

سليمان ـ سجل : اسنان صناعية من الذهب .

مسعد ـ وانت .. اكتب ممتلكاتك .

يعقوب ـ انتظر لاجمعها .. ، ٢٢٠ كيس ذرة و ٤٤٠ كيس حنطة و ٨٨٠ كيس عدس و ١٧٦٠ كيس قطن .. كم نكون ؟

راشد ـ تساوي ٣٣٣٠ دودة قطن ..

يعقوب ـ هل تسخر ؟

راشد ـ لا ادري .. فقد اصبحت الصعلوك الوحيد بين جماعة الاقطاعيين . (يجلس يشحذ السيف ولا يتكلم) .

يعقوب ـ انت تدقق كثيرا .. يجب ان نبالغ في الارقام لانهم لن يقنعوا بها وسوف يساومون ويعطوننا الربع فلا نرضى ونطالب بالنصف ثم نتراضى على الثلث ..

مسعد ـ اكتب الديباجة ثم اسرد قائمة المفقودات تحتها ..

يعقوب ـ ... الى نصير العدل ، وحامل لواء الحق ، والمستند الى جدار الخير ، وحامي حمى الفقراء والمستضعفين ، ومن ذاع صيته بين الامم ، وعرفت عدله العرب والعجم .. سيادة الصدر الاعظم ، لهيئة الامم المتحدة ، ادامه الله ، آمين . آمين . ما رأيكم ؟ اليست بداية رائعة ؟

سليمان ـ هذه هي البلاغة ..

مسعد ـ اكتبها على نسختين لاحتفظ بواحدة منها في ارشيف القضية ..

يعقوب ـ والان .. استدعاء الى « اليونسيف » . ما رأيكم بهذه البداية : الى السيد الظريف ، والميسري العفيف ، رئيس منظمة اليونسيف . اروم ان ابلغ مقامكم اننا قوم ايتام ، نفذ منهم الطعام ، وانتهى بهم المقام ، الى مأدبة اللئام ..

مسعد ـ سوف يرق قلبه ويرسل اليك الطعام اكداسا، اكداسا..

سليمان ـ رائع .. حين اتصور هذا البيت مملوء بالطحين وعلب السردين .

يعقوب ـ وعلى ذكر السردين .. ما رأيكم باستدعاء الى « شركة المعلبات المتحدة » نتوسل اليها فربما ارسلت حمولة باخرة من السردين؟

مسعد ـ افضل ان ترسل في الاول نداء الى « اتحاد شركات الاحذية » فقد اكتشفت ان اصابعي تلحس الارض ليلة امس .

يعقوب ـ سنكتب .. سنكتب كل شيء . ان امامنا الوقت الكافي لتحرير الاستدعاءات .

سليمان ـ هل تعلمون اننا نسينا الشيء المهم ؟ نسينا ان نرسل الى « اليونسكو » .. يجب ان نبدو بمظهر المتحضرين على اية حال .

مسعد ـ ولا تنس ان ترفق العرائض بالوثائق اللازمة .. انها ستدمغ الغاصبين وتظهرهم امام العالم على حقيقتهم ..

يعقوب ـ هذه الاستدعاءات ستهز الضمير العالمي .. واتوقع ان تحدث انشطارا في المعسكر الغربي ، ولن يتردد المعسكر الشرقي في تأييدها ، اما العالم الثالث فهو معنا لا ريب .. (يعقوب يكتب وهما يمليان عليه بكلام مختلط لا نميز له معنى . ضجتهم صاخبة . فجأة .. يلمع نور وتسمع موسيقى عسكرية .. طرق على الباب ، راشد يذهب الى الباب)

سليمان ـ اسمع لا تفتح الباب ، ربما كانوا اصحاب البيت .

مسعد ـ وماذا يريدون .. لن نتخلى لهم عنه بعد ان غرسنا شروشنا ..

يعقوب ـ ربما كانا عزرا وهارون .. انظر من الثقب وادعهما للدخول ، هما ولا احد غيرهما .

راشد ـ (ينظر من الباب) .. انه عقيد عجوز في ملابسه العسكرية . .

يعقوب ـ دعه ينصرف .. ليس في سلالتنا احد من العقداء .

سليمان ـ هل يركب حصانا ويضع الدروع ؟

راشد ـ تماما كما تقول ..

يعقوب ـ هل تعرف احدا بهذه الصفة ؟

سليمان ـ في طريق الهرب كنت المح من بعيد عسكريا يركب حصانا ودروعه تلمع في الشمس ، ولكن لم اهتم به . ظننته من جنود الاعداء فلم اشأ ان الفت انظاره الينا .

مسعد ـ انه الفارس العجوز وقد حذركم منه هارون ..

راشد ـ دعوه يدخل لنعرف ما يريد ..

يعقوب ـ لن يدخل الينا احد.خاصة اذا كان عجوزا برتبة عقيد..

سليمان ـ ولكن ماذا يريد منا ؟

راشد ـ يبدو انه عجوز طيب ..

مسعد ـ انا لا احب الفرسان وخاصة اذا كانوا شيوخا .

(يصرخان)

يعقوب ـ اذهب عنا .. حل عنا .

مسعد ـ ارحل من هنا .. ليس لك بيننا مكان .

راشد ـ لقد ذهب .. ولكنه اشار بانه سيعود .

يعقوب ـ ساتولى امره حين يعود .. والان اين وصلنا ؟ خذ انت راجع مسودة العريضة الى اليونسيف .. وانت تأكد من صحة ارقام الممتلكات .. ساحرر عريضة الى الشركة ..

(تعود ضجتهم .. بعد قليل)

راشد ـ (يصرخ فرحا) انظروا .. طائر ابيض .. يعبر السماء من الافق الى الافق .. يرف بجناحيه والشمس تلمع فوقهما .. لقد دخلوا اورشليم .. عادوا الى الارض بعد اربعين سنة .. هذه بشرى .. انهضوا فقد دخلوها ، سوف نعود .. سوف نعود . (تبدو حماسته ناشزة بين برودتهم . يحملقون فيه)

سليمان ـ اوف .. اسكت قليلا .. نعرف انه طائر ، وانه يعبر السماء .. ، ٧٥٠ ـ ٧٦٢ ـ ١٩٧٢ ...

راشد ـ لقد وعد بان يطلق طائرا اذا دخلوا ..

يعقوب ـ الا تريد ان تسكت ؟.. جاءتني فكرة ديباجةرائعة ولكنك لا تكف عن الصراخ (يقرأ بصوت مرتفع) : الى مقام اتحاد شركات الاحذية الموقرة ، نعرض لجنابكم اننا قوم حفاة ، بليت نعالنا سعيا وراء الاغراض النبيلة ، ونرجو ان تنظروا بعين الشفقة الى عريضتنا ، وتأخذوا بعين الاعتبار ان هذا الامر لم ... قد .. وجدنا .. تراكمت .. ، ٤٠٠ اسود .. ، ٣٠٠ بني .. وهل ..

اذن .. عندهم ..

سادتي .. بلا جدال ...

(اصواتهم همهمة .. راشد مستند الى السيف ، وقد ظلل بيده عينيه يتابع حركة الطائر في الافق ..) ..

ستار بطيء

نديم خشفة